وعبر عن التوراة ب (كتاب موسى) بطريق الإضافة دون الاسم العلم وهو التوراة لما تؤذن به الإضافة إلى اسم موسى من التذكير بأنه كتاب أنزل على بشر كما أنزل القرآن على محمد صلى ا عليه وسلم تلميحا إلى مثار نتيجة قياس القرآن على كتاب موسى بالمشابهة في جميع الأحوال .

و (إماما ورحمة) حالان من (كتاب موسى) ويجوز كونهما حالين من (موسى) والمعنيان متلازمان .

والإمام : حقيقته الشيء الذي يجعله العامل مقياسا لعمل شيء آخر ويطلق إطلاقا شائعا على القدوة قال تعالى (واجعلنا للمتقين إماما) . وأصل هذا الإطلاق استعارة صارت بمنزلة الحقيقة واستعير الإمام لكتاب موسى لأنه يرشد إلى ما يجب عمله فهو كمن يرشد ويعظ وموسى إمام أيضا بمعنى القدوة .

والرحمة : اسم مصدر لصفة الراحم وهي من صفات الإنسان فهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه . ووصف الكتاب بها استعارة لكونه سببا في نفع المتبعين لما تضمنه من أسباب الخير في الدنيا والآخرة .

ووصف الكتاب بالمصدر مبالغة في الاستعارة وموسى أيضا رحمة لرسالته كما وصف محمد صلى ا عليه وسلم بذلك في قوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

وقوله (وهذا كتاب مصدق) الخ هو المقيس على (كتاب موسى) .

والإشارة إلى القرآن لأنه حاضر بالذكر فهو كالحاضر بالذات .

قال السماوية الكتب جميع ليشمل المصدق مفعول وحذف . غيره بصدق المخبر : والمصدق A E تعالى (مصدق لما بين يديه) أي مخبر بأحقية كل المقاصد التي جاءت بها الكتب السماوية السالفة . وهذا ثناء عظيم على القرآن بأنه احتوى على كل ما في الكتب السماوية وجاء مغنيا عنها ومبينا لما فيها .

والتصديق يشعر بأنه حاكم على ما اختلف فيه منها . وما حرف فهمه بها قال تعالى (مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) .

وزاده ثناء بكونه (لسانا عربيا) أي لغة عربية فإنها أفصح اللغات وأنفذها في نفوس السامعين وأحب اللغات للناس فإنها أشرف وأبلغ وأفصح من اللغة التي جاء بها كتاب موسى ومن اللغة التي تكلم بها عيسى ودونها أتباعه أصحاب الأناجيل .

وأدمج لفظ (لسانا) للدلالة على أن المراد بعربيته عربية ألفاظه لا عربية أخلاقه

وتعاليمه لأن أخلاق العرب يومئذ مختلطة من محاسن ومساو فلما جاء الإسلام نفى عنها المساوي ولذلك قال النبي صلى ا عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

وغلب إطلاق اللسان على اللغة لأن أشرف ما يستعمل فيه اللسان هو الكلام قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) وقال (فإنما يسرناه بلسانك) .

وقوله (لتنذر الذين ظلموا) يجوز أن يتعلق ب (مصدقا لسانا عربيا) لأن ما سبقه مشتمل على الإنذار والبشارة والأحسن أن يتعلق بما في كتاب من معنى الإرشاد المشتمل على الإنذار والبشارة . وهذا أحسن ليكون (لتنذر) علة للكتاب باعتبار صفته وحاله .

(والذين ظلموا هم المشركون) (إن الشرك لظلم عظيم) ويلحق بهم الذين ظلموا أنفسهم من المؤمنين ولذلك قوبل بالمحسنين وهم المؤمنون الأتقياء لأن المراد ظلم النفس ويقابله الإحسان .

والنذارة مراتب والبشارة مثلها .

و (بشرى) عطف على (مصدق) والتقدير : وهو بشرى للمحسنين أي الكتاب وهذا النظم يجعل الجملة بمنزلة الاحتراس والتتميم .

وقرأ نافع وابن عامر والبزي عن ابن كثير ويعقوب (لتنذر) بالمثناة الفوقية خطابا للرسول صلى ا عليه وسلم فيحصل وصف الرسول صلى ا عليه وسلم بأنه منذر ووصف كتابه بأنه (بشرى) وفيه احتباك . وقرأه الجمهور بالمثناة التحتية على أنه خبر عن الكتاب فإسناد الإنذار إلى كتاب مجاز عقلي .

(إن الذين قالوا ربنا ا ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [13] أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون [14]) استئناف بياني أوثر بصريحه جانب المؤمنين من المستمعين للقرآن لأنهم لما سمعوا البشرى تطلعوا إلى صفة البشرى وتعيين المحسنين ليضعوا أنفسهم في حق مواضعها فأجيبوا بأن البشرى هي نفي الخوف والحزن عنهم وأنهم أصحاب الجنة وأن المحسنين هم الذين قالوا ربنا ا ثم استقاموا في أعمالهم . وأشير بمفهومه إلى التعريض بالذين ظلموا فإن فيه مفهوم القصر من قوله (أولئك أصحاب الجنة)